المشرق ٤: ٥٥٢ : ٢٢ « وأوشي » ص « وأوشى » = ٤: ٥٥٤ : ١٢ « بجلذانْ » ص « بلذانْ » = ٦٨٥ : ٢٢ « الى التصريح » ص « لا يحتاج الى التصريح » = ٦٨٧ : ١٢ « ينقَلب » ص « ينقَلب » = ٦٨٨ : ١٩ « زُبوا . . . وشُبا » ص « زبوا . . . وشبأ » — ٢٢ « ثُلثاني » ص « ثليثاني » = ٦٨٩ : ٢ « الكُتر » ص « الكُترا » = ٧٨٠ : ٢٤ « المقامة » ص « المقاومة » = ٧٨١ : ٢٦ « بالفرنة » ص « بالفرنيّة » = ٧٨٣ : ٤ « الى القِدَم » ص « الى المَدَم » — ١٤ و ٢٢ « في شرقيه » ص « في شرّقيه » — ٢٦ « واغصانه » ص « واعصابه » = ٧٨٤ : ١٢ « المختلفة » ص « المختلفة » = ٩٢٥ و ٩٢٦ كلام الكُترا في هذه الصفحة ملخَّص ليس تماماً = ٩٢٥ : ١٢ « يمدّون » ص « ويمدون » = ٩٢٦ : ١٢ « يظهر الدجال في الدنيا ويقيم . . . » ص « يظهر الدجّال ثم بعد ذلك انوش فيقيم الدعوى على المسيح ويسلمهُ » = ٩٢٨ : ٢ « جارٍ ما كان » ص « مهما كان » = ١١٢١ : ٥ قسم (تمذق) — « بهثة » ص « بُهثة » ١١٢٢ : ٤ « النَّشر » ص « الشّبر » ١١٢٣ : ٢٦ « شواعر » ص « شانر » = ١١٢٤ : ١٥ « الحمل » ص « الجمل »

ترجمة العالم المأسوف عليه

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس (تتمّة)

وكانت تربط صاحب الترجمة والمرحوم بطرس بك كرم روابط الالفة الشديدة والمحبة الاخويّة فكانا يتراسلان عن بعد المزار بالاشعار. يبثّ كل منهما للآخر ما فيه من زائد الاشتياق وصافي الوداد. فمن قصيدة انفذها اليه المرحوم بطرس بك الى كالياري مطلعها:

آن الرحيل وجيشُ الصبر منهزمُ ... لا دمع يجدي اخا البؤسى ولا نَدَمُ

ومنها: فا اصطباري وقلبي هائم قلقٌ ... وما احتمالي ونار الحب تضطرمُ

لو لم اطل بلُقيا يوسفٍ املًا ... ما كنت ارجو حياة بعد بُعدكمُ

ومنها: لهُ الفصاحة دون الخلق قد خلقت ... لهُ المعاني بثغر الدرّ تبتسمُ

حوى الجمال وقد حاز الكمال فما ... وصف يُحيط بما قد نال او قلمُ

فاجابهُ بما يأتي:

أعيدوا وصالي فهو بعض عوائدي ... ولا تنكروا عهدي بتلك المعاهدِ

ساهد لم يبرح من القلب وَجْدُها وما برحت تعلو وتعلو تصاعدِ
سقاها الحيا صبحًا وتُسقى ربوعُها مليًا وما الشُّاق طيبُ الموارد
نظرتُ على بعدٍ اليها فغابتي على القرب ظبيٌ فاتني بالمعاندِ
وعزّ عليَّ الوصل فيمن يعزّهُ فكيف اصطباري والزمان يعاندي
على ذا قضى الدهرُ الخؤون باهلهِ فما شرعهُ غير الجفا والتباعدِ
تسير بنا الدنيا الى حيث لا نشا وتصمي لياليها سهامَ المكايدِ
وليس الفتى من يلتقي الدهرَ غالبًا فذو الحزم يَلقى دهرهُ غير ساندِ
كتمتُ الهوى صبرًا فباحت مدامعي بسرّي وسالت من جفونٍ سواهدِ
وان انكرت دار الاحبّة لوعتي فآياتُ شوقي والغرام شواهدي
أهيم اذا ناح الحمام لوجدها ويطربني وجدي بعصر الاماجدِ
واذكر ما هبّ النسيم صبابةً تعلّلني بالصبرِ والصبرُ جاحدي

ومنها: وأصبر فالصبر الجميل وديدتي لاعلل الهوى والحلم خير معاضدِ
واسأل ريح الصبح تحمل صبابتي الى بطرس المقدام عين الفرائدِ

ومنها أيضًا:

تظلُّ مطايا الحمد قاصدة لهُ ويتلو بهِ للناس نظم القلائدِ
خليلي اذا ما فرّق الهجرُ بيننا فمن عهدنا بالحبّ لست بجاندِ
وحقك لا اسلو على البعد موعدًا سعدتُ بهِ والحظ كان صاعدي
ولا نظرت عيني لغيرك منةً ولا في سوى جدواك رنّت قصائدي

ولهُ ايضًا في مديح بطرس بك المذكور قصائد عديدة نذكر هنا بعض قوافيها. فمن منظومة اخرى انفذها اليهِ ايضًا من كالياري قال في مطلعها:

ابت نفسي سلوًا في بعادي وقد قصرتْ يداها عن مدادِ
وهل يلقى الفتى بالدهر رشدًا وقلب الدهر مجموع الفسادِ
فلا وصلٌ يدوم ولا سرورٌ ولا فرحٌ يمرّ بمستعادِ
كأنّا قد خُلقنا لافتراقٍ تراقبنا التوائب كالاعادي
وما عهد الفتى بالقرب عهدٌ وما بالوصل تجربة الودادِ
ولكنّ الفتى إمّن جرّبتهُ صروفُ الدهر بالمحن الشدادِ
وفخر النفس بعد واصطبار تدوس بهِ لظى شوك القتادِ
بعيشك يا رياحُ الصبح قصّي سلامي وانشدي شوق الفؤادِ

ومنها: فيا دار الاحبة كم يُدانى خيالك مقلتي وقت الرقادِ
وكم اذرفت من وجدي دموعًا وسارت مهجتي مع كل صادِ
اصابر يا فؤادُ على بعادي وارضى نارَ وجدك خير زادِ
واسقي من جفوني ارض شوقي ليروى من دموعي كل صادِ

سئمت الدهر والايام حتى كرهت بقاء عيشي والتمادي
وصرتُ بقيةً بالروح عفوًا عسى ألقى بها كرم البلادِ
عسى التي الفتى مَن ساد مجدًا وقام بهِ طريفًا عن تلادِ

ومنها: اذا ناديتُ بطرس في بعادي سمعتُ الدهر جدواه ينادي
فدتك الروح من خلٍّ وفيٍّ وكم فدّتك مثلي روحُ فادِ
اخاف عليك من حسد الاعادي لوجه منهُ ضوء الصبح بادِ
واخشى ان تخاصمني عليكم بدور الأفق او أُسد الوهادي
فيا شمس الضحى لي فيكِ مثلٌ لميعُ حسامهِ للعين هادِ
تسابق خيلهُ خيل المنايا اذا ما أُسرجت يوم الطرادِ
ويلوها فتىً لمّا تراه ترى جبلًا علا متن الجوادِ
اذا جادت يداهُ بالعطايا حسبت البحر بحرًا من جوادِ
تبارك من برا باللطف شخصًا تقاد لهُ المنى اي انقيادِ

ومنها في الختام:

انا شدهُ سطورًا قد خرطها طروس القلب لا طرسُ المدادِ
يذكرني اوانيت التهاني ويوعدني صباحًا بالمعادِ
وما احظى من الدنيا بحظٍّ سوى وعد يوصل واتمادِ
وفخر النفس اقناع وصبر وما فخر يقوم بلا جهادِ

قال ايضًا رحمهُ الله وقد انفذها الى سعادة البك المشار اليهِ من تونس:

على رسم ذياك الحمى والمنازل سلام يُحادي بالضحى والاصائل
سلام ويا ليت الرياح تحمّلت اليها فؤادي والهوى كان حاملي
وقفت بها وجدًا وقه وقفة انازعها روحي ووجديَ قاتلي
بكيت وابكيت الرسومَ صبابةً ورقّ لحالي خُلّتي وعواذلي

ومنها: خليليّ ايامُ الشباب قصيرة وما هي الّا دولة بالتداولِ
ينغصها الاحباب بالهجر والنوى وتقطعها الآمال قطع المراحلِ
وما وصلنا الّا اجتماع لفرقةٍ نودع بدرًا آفلًا إثر آفلِ

ومن ابياتها:

ابى الله ان انسى على البعد عهدهم واسلو ولو كان الوفاء ماطلي
وباقه تنساني يميني اذا سلا فؤادي ودادَ الشهم فرع الافاضلِ
أسائل عنّي ناظري وهو ساكن فؤادي ويا ليت الفؤاد مواصلي

ومنها في الختام:

فلا فتئت اوصافك النرّ موردًا يحفُّ اليها الفضل كلُّ تاملِ

« عودٌ على بدء » وبعد ان مرَّ على تحريره للمستقل نحو السنتين غادر كالياري قاصدًا باريس مدعوًّا من قبل الحكومة الافرنسيَّة لتحرير جريدة عربية ايضًا تُعرف « بالبصير » فوصلها في اليوم الثالث من شهر ايار لسنة ١٨٨١

وعند وصوله الى محطة السكة الحديدية احسن استقباله بعض الكتبة ومحرري الجرائد الذين اظهروا مزيد الارتياح والسرور للتعرف بعالم شرقي اشتهر امره في بلادهم « واعطي موهبة تنسيق الالفاظ فسحر الالباب بعباراته الطنَّانة » كما ذكروا ذلك مرارًا في بعض جرائدهم

وعندما تقلَّد تحرير البصير وادارته نشرت تلك الجريدة العبارات الآتية :

« لا يخفى على احد ان كل بداءة صعبة وان في العجل آفة العمل وان دون اشهار الكتب والجرائد في بلاد اجنبية عقبات ومصاعب كثيرة. ولهذا قد ظهر العددان الاولان من جريدتنا وعبارتهما مشوَّشة قاصرة عن جهدنا ومرغوبنا وفيهما اغلاط كثيرة من مرتبي الاحرف الاعجميين الذين يصورون الاحرف ولا يزكنون معناها ويظنونها علامات موسيقية او اشكالًا وخطوطًا عرضية. اما الآن فنعلن لقرَّائنا في المغرب والمشرق باننا لا نألو جهدًا في سبيل تحسين جريدتنا واصلاح شأنها وحالها وتوسيعها وتكبيرها لتحتل مجلة نقيَّة توَّهلها الى الانتظام في محفل الجرائد العربية التي حازت قصبات السبق. ولنا من الهمة ما يتكفل لنا بالوصال الى متمنَّانا ويجعل الوعد كالنقد. وقد تداركنا اصلاح الشوائب التي اشرنا اليها بان استدعينا الى رئاسة تحرير جريدتنا الشاب الاديب العالم والكاتب الماهر الحازم يوسف افندي باخوس المقيم في ايطالية فلبى دعوتنا بالقبول والرضى وعلمنا من تلغرافاته الاخيرة انهُ يصل الى باريس غدًا ام بعد غدٍ. وقد عرف قراء جريدتنا في المغرب ما لمحرر جريدة المستقل السابق من البراعة وسهولة الانشاء والمعارف الفلسفية والمنطقية وسيعلمون ايضًا بان الاستقبال يحقق هذه الآمال. واننا ممَّن يقول قليلًا ويفعل كثيرًا »

ثم لم يلبث ان اصاب « البصير » من النجاح ما قد اصاب « المستقل » في ايطالية. وكنا نود ان نأتي هنا على ذكر بعض عبارات من مقالات نفيسة نشرها في اعمدة تلك الجريدة الغاليا عن ذلك ضيق المجال

وهنا نذكر بعض ابيات من منظومة رفعها لبعض اصدقائهِ من المستعربين ذوي الرفعة والكانة يهنئهُ بعيده. قال في مطلعها:

يهنيك عصر المجد ام يهنأ المجدُ بعصرك مترًا فطالعهُ السعدُ
وما شرف الايام الّا باهلها نصورها من رسم افعالهم تبدو
مجال لاقدام الرجال وفضلهم يصاحبهم في نيله الكدُّ والجهدُ
وقد يترق المرء مجدًا بجدّه ويدرك ما لا يدرك المجد والجدُّ
وليس التقي من يتقي الدهر عن قلىً ودون مساعي عزمهِ الخلف والضدُّ
فما طلب العلياء سهلًا وانما حلاوتها صبر وعلقمها شهدُ
وعهدي بها لا تخلف الوعد والوفا وليس لها من غير صاحبها عهدُ

ومنها: تجلّت بهِ فخرًا وجلّ مقامها وطابت بهِ نفسًا فيأتها رغدُ
عرفنا بهِ فضل الرجال ودأبهم فما دأبه الّا الفضيلة والزهدُ
نعدّد ما بين الكرام صفاتهِ وننشدها فخرًا وليس لها عدُّ

ومنها ايضًا:

بها جلّ آمالي وغاية مقصدي فما خاب في علياها مكاربها قصدُ
اسير مدى الايام مستصحبًا بها أرامتها رشدًا فيسعدني الرشدُ
فما عرفت الّا لها النفس مثنًى ولا ذكرت فضلًا ولا عنها رفدُ

ومنها في الختام:

يهنيك هذا العيد انك عيده واقراحهُ بالحظّ والنزّ تمتدُّ
فلا برحت اوصافك النزّ مقصدًا تربّعها العليا ويسعدها المجدُ

وقد عرفت اذ ذاك الحكومة التونسية ما كان لمقالات محرر البصير وكتاباتهِ من النفع والوقع في نفوس ابنائها وذويها وما اتاه رحمهُ الله من الجدّ والجهد في سبيل احياء روح اللغة العربية في تلك الاصقاع الغربية فمنحتهُ وسام كومندور من طبقة « نيشان »(١ وذلك في ١٥ تموز لسنة ١٨٨١

وبقي متوليًا ادارة البصير وتحريره الى ان اصيب بمرض عضال فاشار عليهِ الاطباء بالعود الى وطنه. فعاد اليهِ وقد تخوّن جسمهُ النحول والهزال حتى لم يعد ينجع بهِ دواء ولا يرجى لهُ شفاء. فاستأثر بهِ الله في شرخ الشباب ونضارة العمر غير متجاوز السابعة والثلاثين من سنّهِ. فبكى عليهِ ذوو الادب والمعارف الذين كانوا يتوسمون بهِ حسن الاستقبال ودُفن في ضريح خاص في غزير قد علّق عليهِ تاريخ نظمهُ المرحوم الخوري

(١ Commendeur de l'ordre de « Nichan »

الشاعر ارسانيوس الناخوري الذي نُشرت ترجمة حياته في هذه المجلّة الغرّاء: (١

ابناء باخوس غدوا في لوعة اذ يوسف ذاك الفتى هجر الحمى
شهم امامٌ بل ادبب فاضلٌ فبفضله شرقاً وغرباً رنّما
لبنانُ اولى عزةً وتفاخراً فلقومه بنيهِ ثناه كلّما
ولفقده اسى اخوه فارس بتفجع واسال دمعاً عندما
كفنُوا البكا ثمّ الامى يا آله اذ روحهُ لاله قد سلّما
فجباهُ ملكاً في السماء مؤبداً متمتعاً فيما عليهِ انعما
سعداً وجداً ارخوا ساوِ جا بالنّ اضحى وارثاً ملك السما (١٨٨٣)

وكان رضوان الله عليهِ شهماً ذكيّاً متضلعاً في العلوم الفلسفيّة والتاريخيّة وخطيباً مصقعاً وشاعراً مجيداً لهُ شعر اعذب من الماء الزلال واغرب من السحر الحلال. سريع الخاطر طلق اللسان لطيف المعاشرة يطرب الالباب ويسكر العقول(٢ بل تعشق كلامه الطباع وتلذّ بهِ الاسماع يشهد لهُ بذلك كثير من ذوي الادب والعلم في الديار الشرقيّة والغربيّة الذين كانوا يعجبون ويطربون بكلامه الدرّي

ولهُ مع بعض محرري الجرائد في ذلك الحين ولاسيما مع محرر "الجوانب" المناقشات الحسنة والمجادلات اللطيفة التي تشف عن دهاء ودراية في الامور واتساع في العلوم. رحمهُ الله رحمةً واسعة ومتّع الوطن بامثالهِ

اقدم التصاوير

الاب لويس شيخو اليسوعي

اذا اصاخ احدٌ بسمعهِ الى اقاويل دروين واشياع التحويل ظنّ ان الانسان كان

---

١) المشرق ٣:٦٠٦

٢) قالت البال مال غازت في ذلك الحين: «ان بحر الانفاظ هو صناعة اتقنها وبهر فيها ابناء المشرق وقد برع فيها المسيو باخوس براعة عظيمة وهو شاب قد اشتهر امره واصبح يعدّ الان من شيوخ الكتبة المصنفين». هذا وانا نضرب صفحاً عن الجرائد الشهيرة التي مدحت كتاباته ومقالاته بخصوص المسألة الشرقية مدحاً فائقاً وعرّبت بالمعرف اكثر هذه المقالات النفيسة ونشرتها في اعمدتها لاسيّما الجرائد الباريسية. وقد قدرتهُ معظم الجمعيات العلمية الشرقية في اوربا حق قدره وعيّنتهُ من اعضائها